دراسة لغة الجسد (الرأس) و (الوجه) في نهج الفصاحة

صديقه رحيمي اميرهنده
طالبة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، فرع قم، جامعة آزاد الإسلامية، قم، إيران
seddighrahimiamirhandeh1399@gmail.com
محمد حسن معصومي (الكاتب المسؤول)
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، فرع قم، جامعة آزاد الإسلامية، قم، إيران
Dr_masomi38@yahoo.com
محمد رضا يوسفي
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، فرع قم، جامعة آزاد الإسلامية، قم، ايران

Studying body language “head” and “face” in the Nahj-al feṣāḥa

Seddigheh. Rahimiamirhandeh
PHD student , Department of Arabic Literature , Qom Branch , Islamic Azad University , Qom , Iran
Mohammad.hasan.masoomi (Responsible author)
Assistant Professor , Department of Arabic Literature , Qom Branch , Islamic Azad University , Qom , Iran
Mohammadreza. Yousefi
Assistant Professor , Department of Arabic Literature , Qom Branch , Islamic Azad University , Qom , Iran

الملخص:

التواصل هو عملية يجب على البشر التعامل معها بطرق مختلفة. إن أبسط وأسهل طريقة للتواصل هي من خلال الكلام، وهو ما يسمى الاتصال اللفظي، لكن هناك طريقة أخرى للتواصل تحدث من خلال أعضاء الجسم على شكل إيماءات و حركات و مواقف، و ما إلى ذلك، وهو ما يُعرف بالتواصل غير اللفظي. يحتاج البشر إلى كلا النوعين من الاتصالات لنقل رسالة و جعلها فعالة؛ لهذا السبب، لطالما نظر البشر إلى لغة الجسد، و هم يعبرون عن نواياهم في حركات الجسد وبصمت دون أي وعي. وتشير نتائج البحث إلى أن الرسول ﷺ لجأ إلى إيجاز الكلام باستخدام لغة الجسد. لقد أقنع استخدام لغة الجسد في كلمات هذا النبيل الجمهور قدر الإمكان. كذلك، من خلال فحص لغة الجسد في كتاب نهج الفصاحة الثمين، استنتج أن كلمات ((الرأس)) و ((الوجه)) في هذا الكتاب قد استُخدمت أكثر من أجزاء أخرى من الجسد. و لها تردد أعلى.

الكلمات المفتاحية: الرسول ﷺ، نهج الفصاحة، لغة الجسد، الرأس، الوجه، السيمائية.

Abstract:-

Communication is a process that humans have to deal with in different ways. The simplest and easiest way to communicate is through speech, which is called verbal communication, but there is another method of communication that occurs through body organs in the form of gestures, movements, postures, etc., which is what is known as non-verbal communication. Humans need both types of communication to convey a message and make it effective; For this reason, humans have always looked at body language, expressing their intentions in body movements silently without any awareness. The results of the research indicate that the Prophet (peace be upon him) resorted to brief speech using body language. The use of body language in this nobleman's words had convinced the audience as much as possible. Also, by examining body language in the valuable Nahj-al feṣāḥa, he concluded that the words “head” and “face” in this book were used more than other parts of the body. And it has a higher frequency.

Key words: the Prophet (God prays on him), Nahj-al feṣāḥa, body language, head, face, semiotics.

١ـ المقدمة

إنّ اللغة تعدّ من أهمّ وسائل التواصل البشري الذي يتمّ التفاهم و العلاقات بين افراد المجتمع عبرها، أمّا ((هذا التواصل فهو تنظيم و تقييس لنظام خاصّة منمّط من السلوك الذي يبقي ويصنع العلاقات الإنسانية الممكنة، و لا يتحقّق هذه العملية ناجحة إلا يتوفّر ظروفها وسلوكها الخاصّة.)) (كريم زكي؛ ٢٠٠١: ٦٠)

الحدث اللغوي الذي يتمّ التواصل عبره نوعان: الكلامي و غير الكلامي. إذن إنّ فهم الصحيح لكلام القائل يتطلّب ضرورة الإنتباه إلى قضايا عدّة تنطوي ضمن السياق اللغوي و غير اللغوي. فبعبارة أخرى تتمّ العلاقة بين المتخاطبين بتواصل كلامي و تواصل غير كلامي. من البديهي أنّ للأداءات المصاحبة للتواصل الكلامي دوراً هامّاً في انتقال المعني و تلقّيه؛ بعبارة أخرى ما يعبّر عنه باللغة الإيحائية. يشكل نوعاً آخر من التواصل يسمّي بالتواصل غير الكلامي. و بما ((أنّ اللغات البشرية في معظمها لا تخلو من اثار أو بقايا من لغة الحركة و الإشارة، فهناك كثير من التعبيرات تشير إلى ممارسات الجسد في اظهار الرغبة، إو إخفاء اخفاق، أو ما شابه.)) (ابوعاصي؛ ٢٠٠٩: ٨١) فلهذا يتّقن الباحثون اليوم على أنّ الكلمات تستخدم أساساً لنقل و توصيل المعلومات، بينما تستخدم لغة الجسد لإتمام المواقف الخاصّة بالعلامات بين الأشخاص، و في بعض الحالات كبديل عن الرسائل اللفظية. إذن يمكن القول انّ الكلمات يكاد لا يمكنها التعبير عمّا يدور في خلجات الإنسان دون الإستعانة عن القدرات الجسمية كالإشارات و الحركات، بل يعمل الذيحاءات في بعض الأحيان دور الألفاظ بصورة شاملة.

وأمّا دائرة لغة الجسد دائرة شاملة و وسيعة، و لا يمكن فهمها إلا بعد فحص ودراسة عميقة، حيث تشمل لغة الجسد، الرسائل التواصلية الموجودة في الكون الدي نعيشه، ونتلقّاها عبر حواسنا الخمس، و يتمّ تداولها عبر قنوات متعدة، و تشمل كل الرسائل التواصلية حتى تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظة و التي تعتبر من نص بنيتها. و تتجلّي وسائل الإتصال غير اللفظي عبر سلوك العين، و تعبيرات الوجه، و الإيحاءات، و حركات الجسد، و هيئة الجسد و أوضاعه، و الشّمّ و الذوق و الخ. نحاول في هذا البحث أن نبين كيف استخدم الرسول ﷺ لغة الجسد و عبر عن العواطف بهذه الطريقة في كتاب نهج

الفصاحة الثمين و هل للغة الجسد تأثير على تجميل هذا الكتاب أم لا؟

١-١. الدراسات السابقة

تشمل الأبحاث السابقة بنفس النهج ما يلي:

- أسامة جميل عبد الغني في أطروحة بعنوان ((لغة الجسد في القرآن الكريم)) (٢٠١٠ م) في جامعة النجاح الوطنية، نابلس: فلسطين، تطرق أولاً معنى لغة الجسد، ثم لغة الجسد في السياق القرآني، أنواع الاتصال البشري، و أهمية لغة الجسد في التواصل البشري ثم في لغة الجسد و أمثلةها في القرآن الكريم.
- احمد محمد الأمين موسي (٢٠٠٣) تحدّث في كتابه بعنوان ((الأتصال غير اللفظي في القرآن الكريم)) عن الإتصال غير اللفظي بشكل عام، في مقابلته للإتصال الناطق، توسّع في موضوعات كثيرة، اعتبرها ذات دلالة على الإتصال غير اللفظي؛ لكنها لا تبدو واضحة الدلالة، و لا علاقة لها بلغة الجسد.
- عبير حسن عبد الله المحروق في دراسة بعنوان ((لغة الجسد في سلطات همدان)) (٢٠١١) درست تاريخ لغة الجسد في الثقافة العربية، و العلاقة بين لغة الجسد و علوم أخرى مثل السيميائية، و علم الفراسة و إلخ. ثم درس لغة الجسد في مقامات همداني.
- مقالة بعنوان ((الإتصال الصامت و عمق التأثير في الآخرين في ضوء القرآن والسنة))، للكاتب عبدالله عودة، ٢٠٠٤، مجلة المسلم المعاصر، رقم ١١٢.
- درس الكاتب في بحثه هذا عن الإتصال الصامت و عمقه التأثير في الآخرين عن أنواع الإتصال، و هي: الناطق و الصامت، و عن الدلالات المستفادة من الإتصال الصامت، و ما يحدثه هذا الإتصال من تأثير في الآخرين و ذكر بعض الشواهد القرآنية و أخرى من السنة النبوية للتدليل على ذلك.
- نبيل راغب (١٩٩٩) تحدّث في كتابه بعنوان ((لغة التعبير بالجسد)) عن كيفية التعبير من خلال حركات الجسد، وعن حركات الجسد في الحياة اليومية ودلالاتها، وعن لغة الجسد في المكسرح والبيع والشراء والإدارة والسياسة وما إلى ذلك من موضوعات.

- مقالة بعنوان ((الجسد في الشعر العربي قبل الإسلام))، للكاتب مؤيد محمد صالح اليوزيكي، ٢٠٠٥، مجلة آداب الرافدين، رقم ٤.

لقد درست في بحثي هذا عن الجسد في الشعر العربي قبل الإسلام، عن تأثير الجسد بفضاء بالغ الأهمّية من أفق الوعي الشعري، قبل الإسلام. و إنّ أهمّ ما يمكن استخلاه عن هذا البحث، هو أنّ الجسد أساس حضور الإنسان المستمر في العالم و إنّ مستوي هذا الحضور مرهون بفعالية الجسد في مختلف مستوياته. و هي الفعالية التي حقّقت للإنسان العربي وجوده المرصود شعرياً في عصر ما قبل الإسلام و لكن لا يتجاوز هذا البحث إلا إحدي عشر صفحة فيحتاج إلى مزيد من دراسة.

٢-١. هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة لغة الجسد في نهج الفصاحة، إذن من أهمّ الأهداف التي تنشدها هذه الدراسة هي:

١- وضع إطار تصنيفي لإشارات لغة الجسد و مدلولاتها في نهج الفصاحة.

٢- التطرّق إلى وجوه لغة الجسد في نهج الفصاحة و تبيين دلالاتها مستفيداً من هذا الكتاب.

٢ـ لغة الجسد

إن لغة الجسد هي لغة التخاطب الغير اللفظي اللاشعوري، يحاول الإحاطة بردود فعل الجسم عند التواصل مع الغير عن طريق ملاحظة الحركات الصغيرة و البسيطة للوجه و الجسد، بالواقع حركة الجسد تسبق اللفظ عند التواصل، لكن الأهمّ أنّ هذه الحركة تظهر ما يفكر العقل و لا يريد اللسان النطق به. بعبارة أخرى إنّ الدات أو أل (أنا) هي مركزة شخصيتنا. (الطربولي؛ ٢٠١٢: ٦٤)

((أصبحت دراسة علم اللغة اليوم ترتبط بدراسات جادّة تحتلّ مكانها في مجال ما نسمّيه اليوم (علم الأتصال). و من هذه الدراسات انبعثت علوم جديدة أهمّها الحركة الجسمية، و يطلق عليه أحياناً لغة الجسد.)) (محجوب؛ ٢٠١١: ٢٠١)

يمكن القول إنّ درك مفهوم الطبيعة الإنسانية ينحقّق مع التعرّف إلى امكانيات الجسد في انتقال المفاهيم التي تدور في خلجات النفس البشرية و لا يريد اللسان النطق بها حيث ((إنّ الجسد هو موطن الإنسان، و من خلال خضوعه للإدارة و تعمّق العلاقة بوعي الشخص لجسده، يجعل منها مادّة مميزة لبيئة الإرادة. فكلّما كان وعينا حول جسدنا بشكل صحيح مثل معرفة بقيمتها الجمالية و مزيداً من الأهمية المثيرة للإعجاب، فيصبح بذلك الجسد قريناً للذات، أي يصبح أنا أخرى أو مرآة لها. لذلك اختلف في تصوّر الطبيعة الإنسانية بجعلها ثابتةً زمنياً و مكانياً و جعل الإنسان هو نفسه حيثما وجد، أو جعلها متغيرة بتغير الإنسان و قدرته.)) (الطربولي؛ ٢٠١٢: ٦٤) و مهما كانت الأمر في اختلاف تصوّر الطبيعة الإنسانية لا يمكن غضّ النظر عن قيمة لغة الجسد في انتقال المفاهيم، و يؤيد كلامنا هذا محمد بني يونس قائلاً: ((فكلّ ايحاءة و حركة من أطرافك تشكل لغة بحدّ ذاتها، و يكفي أن تراقب شخصاً ما لتفهم من حركات رأسه و أصابعه ما يريد أن يقول، و تعرف من طريقة جلوسه و ملامح وجهه و حالاته النفسية. و لغة الجسد من وسائل السامية التي تحقّق الكثير من التجاوب بين الناس.)) (بني يونس؛ ٢٠٠٧: ٣٤)

تجدر الإشارة إلى صاحب هذا العلم و هو العالم الأنثربولوجي راي بيردوستل الذي ارتاد طرائقه و أصُل منهجه ((وقصد به أن يدرس استخدام الإنسان حركات جسمه في عملية التّوصيل ممّا يفيد في فهم العملية اللغوية و بما يفيد آخراً في فهم ظواهر البناء الإجتماعي. و قد كتب عدداً كبيراً من الأبحاث أنزلت دراسة الحركة الجسمية منزلةً مهمّةً بين علوم الإتصال عموماً و في دراسة اللغة على وجه الخصوص.)) (الراجحي؛ ٢٠٠٤: ٤١-٤٢).

٣ـ هيكل و محتوى نهج الفصاحة

كتاب نهج الفصاحة يحتوي على روايات و أقوال الرسول الكريم ﷺ و ينقسم إلى جزئين: الأحاديث و المواعظ. و السبب في تسمية هذا الكتاب الثمين هو حديث الرسول الكريم ﷺ الذي قال: ((أنا أفصح العرب)) هذه الأحاديث عبارة عن مجموعة من الروايات التي جمعت في الغالب من قبل الرواة المشهورين، من نبي الإسلام الكريم ﷺ في مختلف المجالات الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية و الحكومية، و ما إلى ذلك من قبل أبو القاسم بايندە مع ترجمة سلسله و طلاقة. و قد اقتبس المؤلف كلام الرسول ﷺ في موضوع

الفضيلة و الأخلاق، و امتنع عن ذكر الأحاديث الفقهية و نحو ذلك. في هذه المجموعة الثمينة، كُتب ٣٢٢٧ حديثاً و ١٦ خطبة للنبي مع مقدمة تفصيلية للمؤلف في ١٦٧ صفحة حول موضوع الدافع لكتابة نهج الفصاحة، و سبب التسمية، و بلاغته، تاريخ النبي و مواضيع أخرى.

يكتب بايندە في مقدمة هذا الكتاب:

((قول النبي ﷺ تلك الشمس المشرقة و نور البشر و هديهم، كلام مأخوذ من الوحي و الإلهام الإلهي، و يفسر كلمة الحق. و تشمل هذه الكلمات جميع التعاليم و القضايا التي لازمة لحياة الإنسان، حتى لا نواجه أي مشكلة، إلا أن هديها هو منارة لنا في تلك المرحلة: ﴿ونزّلنا عَليكَ الكتابَ تِبياناً لِكلّ شَيءٍ﴾ (النحل/٨٩)... هو النبي الذي له خليقة عظيمة: ((إنّك لَعَلي خُلُقٍ عَظيمٍ))(قلم/٤)... هو النبي اللطيف الحنين: ﴿فَبِما رَحمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُم ولَو كُنتَ فَظّاً غَليظَ القَلبِ لانفَضّوا مِن حَولِك﴾ (آل عمران/١٥٩)... الوجود الكريم لنبي الإسلام ﷺ أشبه بالشمس المشرقة التي تزيل ظلام الجهل و الشرك و الرياء و الكفر من أفق النفس البشرية و توجه الإنسان إلى أعلى كمال، حيث يرى الإنسان فقط الله.)) (بايندە؛ ١٣٦١: ٤)

٤ـ لغة الجسد ((الرأس)) في نهج الفصاحة

يشير ((الرأس)) إلى أعلى عضو في جسم الإنسان و يتكون من الفم و الأنف و خمس حواس غير اللمس. جمع قلته هو ((أرؤس)) و جمع كثرته ((رؤوس)) و مؤنثه ((رأساء)) (كريم زكي؛ ١٩٩٩: ١/ ١٤٢)

تدلّ لغة جسد ((الرأس)) في نهج الفصاحة على المعاني التالية:

٤-١. لمس ((الرأس)) علامة على النعمة و اللطف

(أتحبُّ أن يلينَ قَلبُك وَ تُدرِك حاجَتَك؟ ارحَم اليتيمَ وَ امسَح رَأسَهُ وَ أطعِمهُ مِن طَعامِك يلِنَ قَلبُك وَ تُدرِك حاجَتَك) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٩/ رقم ٢٨)

هناك حاجة إلى الحب و الاهتمام في كل إنسان، و هذا هو العامل الذي يسبب النمو البشري، بينما تكون هذه الحاجة و الرغبة أكثر كثافة عند الأطفال، و هذه الحاجة يلبيها

الوالدان. لذلك يحرم اليتيم من هذه النعمة كطفل، و بالتالي في الإسلام كم يوصى بمداعبة اليتيم، و هناك أجر كبير و كرامة عندالله على حب اليتيم. و لهذا نرى في العبارة السابقة أن الرسول ﷺ يدعونا إلى دار الأيتام و ينظر في شرط تليين القلب و وصول الحاجة إلى الاعتماد على دار الأيتام. و لخص الرسول دور الأيتام في ثلاثة أشياء: رحمة اليتيم، لمس رأسه، و إطعام اليتيم. في هذا السرد، يُستدل على معنى اليتم من نسبة كلمة ((امسح)) إلى كلمة ((رأس)) في عبارة ((امسَح رَأسَهُ))، و من الكناية أن تأثير المعنى جميلاً و معنوياً على قلب الجمهور؛ لأنه مع لغة الجسد، يتم تعزيز معنى دار الأيتام.

٢-٤. تظليل الكفر على ((الرأس)) علامة على خادم زاني

للإسلام تعليمات على مستويات مختلفة من الفرد، الاجتماعي، التعبدي، الاقتصادي، الأسري، التربوي، إلخ، و التي يعتبر الالتزام بها أساس الحياة النظيفة و السلمية.كما أن لديها سياسة هرمية في التعامل مع المذنبين و المجرمين. إن السياسة الإسلامية في التعامل مع هذه الجرائم انضباطية و تعليمية بالدرجة الأولى. أحد هذه المحظورات يسمى الزنا. يقول النبي ﷺ في هذا الصدد: (إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلّه فإذا أقلع رجع إليه) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٤٧/ رقم ٢١٢)

في العبارة أعلاها نرى أن الرسول ﷺ يعتبر الزنا علامة من علامات خروج العبد من دائرة الإيمان، و بتشبيه معقول بالمحسوس و التفسير الكنايي الجميل ((فكان على رأسه كالظلّه)) ينص على أنه إذا ارتكبت الخادمة الزنا، فإن ذلك يلقي بظلال عدم الإيمان على رأسها. و هكذا، باستخدام فعل ((أقلع)) في صورة استعارة، يذكر أنه إذا ترك الخادم الزنا و استأصله؛ أي أنه يتوب فعلاً، و يدخل دائرة الإيمان، و الإيمان يلقي بظلاله عليه. باستخدام الاستعارة، تم توسيع قوة اللغة و في نفس الوقت تمت إضافة جمال الكلام، و ساعدت لغة جسد الرأس على فهم معنى كل من الخروج و توقع الإيمان. و بحسب هذه التفسيرات نفهم أن كلمة ((الرأس)) في عبارة ((فكان على رأسه كالظلّه)) تعني إلقاء ظلال الكفر على العبد الزاني.

٣-٤. يتأثر الجسد بمعاناة ((الرأس)) علامة على التعاطف ورباط الأخوة.

اتخذ الرسول الكريم ﷺ خطوات من البعث إلى الموت دائماً في تعاليمه وعملياً، من

أجل إنكار الفرقة والخلاف، وتقوية أسس الوحدة والتضامن والأخوة والتعاطف بين المسلمين و حتى التفاهم مع غير المسلمين الذين يفعلون ذلك، لا تعارض اهل الكتاب و.... تجلت الحياة العملية للنبي ﷺ فيما يتعلق بوحدة المسلمين منذ البداية وكخطوة أولى، في إعلان شعار التوحيد. كان من عوامل الوحدة، من وجهة نظر الرسول ﷺ، خلق العطف ورباط الأخوة وفي هذا الصدد يقول: (انّ حقّاً على المؤمنينَ ان يتوجَّعَ بعضُهم لِبعضٍ كما يألَّم الجسدُ الرأس) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ١٨٢/ رقم ٨٤٩)

نرى في العبارة اعلاها أن الرسول ﷺ يعلم حق المؤمنين في أن يكونوا إخوة لبعضهم البعض وأن يدركوا معاناة بعضهم البعض وأن يشعروا بالتعاطف مع بعضهم البعض. هو يعتبر المؤمنون أن العلاقة مع بعضهم البعض هي علاقة الجسد بالرأس بأن هناك علاقة قوية لا يمكن إنكارها بين الاثنين. يبين الرسول ﷺ مثلما يشعر الجسد بالألم بسبب الصداع، يحزن المؤمنون أيضاً على آلام الآخرين ولا يمكنهم أبداً عدم المبالاة بالمؤمنين الآخرين.

يقول النبي ﷺ في موضع آخر في هذا الصدد: (إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن من أهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٦٢٧/ رقم ٣١٠٦)

في العبارة السابقة، استخدم الرسول ﷺ فن التشبيه للتعبير عن التعاطف مع المؤمنين بأن أطراف التشبيه ملموسة؛ أي أن ((مؤمن)) و ((اهل ايمان)) يشبهان بـ ال((رأس)) و ((الجسد)).

٤-٤. يشير ارتباط ((الرأس)) بالجسد إلى عدم انفصال الصبر عن الإيمان

((الصبر)) صفة تقييدية و جسدية عامة لها اتجاهان رئيسيان: من ناحية، يسجن الميول الغريزية و الجسدية و يحدها في مجال العقل و الشريعة، و من جهة أخرى، يمنع الروح من التملص من المسؤولية في وجه العقل و الشريعة، و يجبرها على تخفيف عناء و صعوبة التقيد بالواجبات الإلهية. بالطبع، إذا كانت هذه الحالة تتحقق بسهولة في البشر، فإنها تسمى ((الصبر)) و كلما فرض شخص ما على نفسه بصعوبة يطلق عليه ((تصبّر)).(نراقي؛ ١٣٨١: ٢٨٠/٣)

يقول النبي ﷺ: (الصَّبْرُ مِنَ اَلْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ اَلرَّأْسِ مِنَ اَلْجَسَدِ) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٣٨٩/ رقم ١٨٦٢)

في العبارة أعلاها، يكون التشبيه معقولاً بالمحسوس، و الغرض من ذلك هو إحضار ((الرأس من الجسد)) لمزيد من التوضيح. هنا مكان الصبر في نظام العقيدة لكل مؤمن مثل الرأس الذي هو القائد، و النبي ﷺ من خلال مجموعة التشبيهات لم يكتف بإظهار صورة جميلة لمكانة الصبر في الإسلام بدلاً من ذلك، فإنه يصور هذه الصورة بشكل معنوي بشكل ديناميكي و واضح للغاية، مما يسهل فهم الموضوع.

٥-٤. اكتساب الحكمة في ((الرأس)) علامة على التواضع والسمو

التواضع حالة حسية لها ظواهر و مظاهر سلوكية ممتعة. التواضع نقطة توازن في كلا الجانبين الذل و الغطرسة. لا يحتقر الانسان المتواضع، بل إن البشر المتواضعين محترمون و محبوبون بسبب هذا التواضع. يقول النبي ﷺ: (ما من آدَمِيٍّ إلاّ في رأسِه حَكَمَةٌ بِيَد مَلَك، فإذا تَواضَعَ قيلَ للمَلَك: ارفَعْ حَكَمَتَهُ و إذا تَكَبَّرَ قيلَ للمَلَك: ضَعْ حَكَمَتَهُ) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٥٤٤/ رقم ٢٦٦٠)

التواضع من الاستراتيجيات الفعالة للنبي الكريم ﷺ في ترسيخ الألفة و الصداقة. من أسباب هروب الإنسان من بعضه البعض هو التمرد و الغطرسة و الأنانية؛ لهذا فإن التواضع سبب للصداقة و الحب و الألفة. في العبارة السابقة، يزيد التواضع الحكمة في رأس الخادم، و يؤدي الغطرسة إلى تدمير هذه الحكمة في رأسه. بقليل من العناية نجد أن مكان العلم و الحكمة في الرأس، و يحققها الإنسان بتواضع من خلال الرأس، و هو مكان التفكير و تلقي الحكمة، و بخلاف ذلك، يفقد بغطرسة قبول هذه الحكمة.

٦-٤. يشير ارتباط ((الرأس)) بالجسد إلى أهمية الصلاة و مكانها في الدين

الصلاة من أهم الوصايا التي يوصى بها في الإسلام. لقد قيل الكثير عن أهمية الصلاة و إدخال ركن الدين. الصلاة ركن من أركان الدين لأنه بدونها لا معنى للدين، كما لا تُقام خيمة بلا عمود. الصلاة عبادة شاملة و جامعة و هي عماد الخيمة و أساسها.

وعن أهمية الصلاة قال النبي ﷺ: (موضع الصلوة من الدين كموضع الرأس من

الجسد) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٦٢٢/ رقم ٣٠٧٥)

في العبارة أعلاه، التشبيه هو المعقول إلى المحسوس، و الذي يلعب دوراً مهماً في تسهيل فهم الأمور الروحية؛ أي أن ((موضع الصلاة)) و ((الدين))، يشبهان بـ ((الرأس)) و ((الجسد)). فكما أن الجسد بلا رأس مفيد، كذلك فإن الدين بدون صلاة يكون عديم الفائدة؛ لأن الصلاة تذكير بالله و رادع للدعارة و الإنكار، و إذا تذكر الإنسان عبودية الله و ألوهيته، فلن يلجأ أبداً إلى الدعارة و الإنكار.

٥ـ لغة الجسد ((الوجه)) في نهج الفصاحة

الوجه يعني الخد. يقول راغب: ((الوجه أساساً الخد، و لأن الوجه هو أول ما يصادفك، و هو أيضاً أشرف و أعلي من جميع أجزاء جسد؛ لذلك بمعنى أشرف في كل شيء؛ لهذا استخدم في كل شيء أولاً و قبل كل شيء، و جمعها ((وجوه)) و ((اوجه)). (راغب الاصفهاني؛ ١٤١٢: ذيل كلمة ((وجه)))

١-٥. لغة الجسد ((الوجه)) تدل على جمال الوجه و الشخصية

الجمال يعني الكثير من الجمال و الامتلاء و المظهر الجميل و الزينة. (ابن منظور؛ ١٤١٤: ذيل كلمة ((جمل))) كلمة ((جميلة)) تستخدم أيضاً لمزيد من الجمال، كما ورد في القرآن الكريم: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) (يوسف/١٨)

أحب نبي الإسلام ﷺ الرائحة الطيبة، و يروي أنه أرسل رسائله إلى الناس الجميلين و الوسيمين. هو قال: (إذا أبرَدتُم إليّ بريداً فابعثوه حُسنَ الوجهِ حُسنَ الإسمِ) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٢٧/ رقم ١٢٣)

كما نرى، يتم إضفاء الطابع المؤسسي على الحس الجمالي في البشر. في الواقع، يتأثر البشر بشكل كبير بمظهر الآخرين؛ لذلك، من أجل زيادة تأثير السفير على الآخرين، ذكر النبي ﷺ خاصيتين واضحتين و هما: الوجه الجميل و السمعة الطيبة. امتلاك هاتين الخاصيتين ميراث ثمين لا يتحلل و يستمر حتى بعد وفاة صاحبه. يمكن وضع هذا التأثير في مجال الإقناع.

نرى أيضاً أن الرسول ﷺ استخدم لغة الجسد في كلمة ((الوجه)) كجمع لكلمة

((الوجوه)) فقال: (إذا ابتغَيتُم المعروفَ فاطلبُوه عندَ حِسانِ الوُجوه) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٢٧/ رقم ١٢٤)

كما نرى في العبارة السابقة استخدم الرسول ﷺ فن الكناية و استخدم ((حسان الوجوه)) للدلالة على حسن الخلق. هنا، بالإضافة إلى الاستخدام الجمالي للتعبيرات الجميلة، توضح الكناية أيضاً معنى العبارة؛ أي أنه يمكن البحث عن الأشخاص الذين بلغوا مراتب عالية و يتمتعون بشخصية جيدة نتيجة للتضحية بالنفس و الخير و الفضيلة؛ لأنهم مرتبطون بمنجم الخير.

٢-٥. لغة الجسد تعني ((وجه)) رضا الله (وجه الله)

في كثير من آيات القرآن تنسب كلمة ((وجه)) إلى الله و هذه الآيات على نوعين:

- ((الوجه)) يعني ((الذات))

و من الآيات التي فيها كلمة ((وجه)) تعني ((الذات)) مثل هذه الآية من سورة البقرة: (وَ ما تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّه) (بقره/٢٧٢)

- ((الوجه)) يعني ((الرضا))

و من الآيات التي فيها ((الوجه)) تعني ((الرضا)) مثل: (وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ) (رعد/٢٢)

قال النبي ﷺ: (إنّ اللَّه تعالى قد حرّم على النّار مَن قالَ لا إله إلّا اللَّه يبتغي بذلك وجهَ اللَّه) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ١٥٣/ رقم ٧٠٧)

في العبارة السابقة، مقصود النبي ﷺ من ((وجه الله))، مرضاة الله، و التي يتم التعبير عنها في شكل الكناية. وجه الله هو الطريق الذي نسلكه نحن بشر مخلصين و نضمن قبول أعمالنا.

٣-٥. لغة الجسد ((الوجه)) تدل على الفكاهة

المزاح في اللغة العربية نوع من السلوك الاجتماعي الذي يجعل الناس سعداء. المزاح مباح في الإسلام؛ لهذا خصّص باب لها في كتبنا الروائية. (شيخ حر عاملي؛ ١٤١٤: ١١٢/١٢

باب استحباب مزاح و ضحك)؛ لأن المزاح موجود في الخادم الداخلي للشخص الذي يريد إيصالها إلى المجموعة، أو يتم تغيير ذوق المجموعة للخروج من حالة خطيرة أو للتخلص من الحزن والأسى. لذلك لا يمكن اعتبار المزاح كمثال للعب الزائف، إلا إذا خرجت عن الاعتدال و استمدت من هدف حكيم مثل خلق السعادة و الفرح بشكل عام إلى الابتذال و النميمة و السخرية. في هذه الحالة، ستكون مزحة مستهجنة و مثيرة للاشمئزاز.

كان مذهب الرسول ﷺ أنه إذا رأى أحد أصحابه حزيناً، كان يفرحه بالمزاح و يقول: (إِنَّ اللّهَ يبْغِضُ الْمُعَبِّسَ فِي وَجْهِ إِخْوانِه) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ١٦٠/ رقم ٧٤٠)

إن النبي ﷺ باستخدام عبارة (إِنَّ اللّهُ يُبْغِضُ الْمُعَبِّسَ فِي وَجْهِ إِخْوانِه) في صورة الكنايه و الإستفادة من حرف توكيد ((إنّ)) يطلب من المؤمنين ألا يكون مرّاً أمام غيرهم من المؤمنين، و لا تغضب. و الواقع أن هذا الرجل النبيل يعبر عن إحدى صفات المؤمن، و لكنها أيضاً من أهم صفات المؤمن وأهمها - أي حسن السلوك و حسن الخلق - و التي لها العديد من المظاهر و منها المزاح مع الأصدقاء. و يترتب على العبارة السابقة أن كلمة ((وجه)) تشير إلى فكاهة المؤمنين تجاه بعضهم البعض التي يدعو إليها الرسول ﷺ المؤمنين.

٤-٥. لغة الجسد ((الوجه)) تدل على صدقة الابتسام للآخرين

إن الإسلام في الأساس دين البهجة و الحيوية، و من علامات الأخلاق الحميدة للمؤمن أنه مزاح و يسعد الآخرين بالمزاح و الثناء. في الروايات الإسلامية، يعتبر إسعاد الآخرين و ((جلب الفرح إلى قلب المؤمن)) أمراً مرغوباً فيه.

دائماً ما يواجه القديسون الناس بوجه مفتوح و سعيد، و في هذه الأثناء نبي الرحمة ﷺ مشهور بشكل خاص و عام. إنه قال: (تَبَسُّمُك فِي وَجْهِ اَخيك لَك صَدَقَةٌ) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٢٢٥/ رقم ١١١٩)

و كما نرى في العبارة السابقة، فإن الرسول ﷺ استخدم صناعة التشبيه التي تكون جوانبها محسوسة، أي اعتبر (الابتسام) في وجه الآخرين (الصدقة) و اعتبر هذا العمل بمثابة نوع من أجر المؤمن. لفظة ((وجه)) في عبارة (تَبَسُّمُكَ فِي وَجهِ أخيكَ صَدَقة) تدل على أن ابتسامة المؤمن تعتبر صدقة على الآخرين، و هي أجر له.

٥-٥. لغة الجسد ((الوجه)) تدل على النفاق

كلمة ((منافق)) تأتي من أصل ((نفق)) بمعني الخروج، و ((نفاق)) يكون مصدراً بمعني المنافق. (قرشي؛ ١٣٧١: ٩٧/٧) فالمنافق في اتجاه واحد يدخل الدين سراً و يتركه سرّاً عبر نفق خفي. لذلك، فإن من لم يدخل الإسلام منذ البداية لا يُدعى ((منافقاً)).

المنافقون ليس لديهم سياسة محددة و يصبحون نفس اللون بين كل جماعة. في الثقافة الدينية المنافق أخطر من الكافر، و عداؤه أشد تدميراً، و عقوبته في الآخرة أشد من الكافر؛ لأنه لص و جسر يتسلل من خلاله الكفار إلى المسلمين. لهذا نرى النبي ﷺ يقول في ذمّ النفاق: (تَجِدونَ شَرَّ النّاسِ ذا الوَجهَينِ؛ الّذي يأتي هؤلاءِ بوَجهٍ و هؤلاءِ بوَجهٍ) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٢٢٧/ رقم ١١٢٦)

كما نرى في العبارة السابقة، استخدم الرسول ﷺ كلمة ((وجه)) أول مرة باعتبارها ((وجهين))، و استخدام صناعة التقسيم يشير إلى صفة المنافقين الذين ليس لديهم موقف ثابت تجاه الناسو تظهر لهم وجوه مختلفة. يعبر هذا السرد بشكل جيد عن وجود طبقات عديدة داخل الإنسان، و هذا يؤثر على داخل الإنسان و خارجه؛ يصنع البعض وجوهاً مزدوجة بسلوكيات متناقضة. طبعا، ألمح الرسول إلى النفاق و هو مرض قلبي، و لغة الجسد ((الوجه)) أخذت الدور الدلالي الأعلى؛ لأننا نميّز البشر بوجوههم. كما نرى، فإن كلمة ((وجه)) في كلام الرسول ﷺ تدل على النفاق.

٦-٥. لغة الجسد ((الوجه)) تشير إلى إدارة الغضب

إذا استفاد الإنسان من قوة الغضب صحيحاً، فلا شك في أنها أفضل وسيلة دفاع و خاصية مثالية للإنسان. الغضب إذا كان مقدساً يحفظ الفرد و المجتمع و المعتقدات الإسلامية، و القيم مصونة، و يمكن للمجتمع أن يحمي نفسه من الكوارث في صورة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. يتحدث النبي ﷺ عن إدارة الغضب و السيطرة عليه: (الصّرعةُ كلُّ الصّرعةِ الذي يغضبُ فيشتدُّ غضبُه و يحمرُّ وجهُه و يقشعرُّ شَعرُه فيصرعُ غضبَه) (نهج الفصاحة؛ ١٣٩٤: ٣٩١/ رقم ١٨٧٢)

إن استخدام النبي ﷺ للون الأحمر في لغة الجسد ((الوجه)) مفيد ودقيق. وقد أظهر

الرسول الكريم ﷺ في أوامره شدة الغضب بلغة الوجه و العلاقة مع اللون الأحمر. كما نرى، يستخدم الرسول ﷺ صناعة مراعات النظير في شكل عبارات مثل ((فيشتدُّ غضبُه)) و ((يحمرُّ وجهُه)) و ((يقشعرُّ شَعرُه)) يشير إلى الصفات البطولية و الشجاعة لمؤمن، و إذا كانت هذه الصفات تعني أنهم يجدون أنك مسيطر على الإدارة في الغضب. في العبارة السابقة، تشير كلمة ((وجه)) إلى الكثير من الغضب، و لكن بحسب نهاية كلام الرسول ﷺ نجد أن المعنى الأساسي لكلمة ((وجه)) هو التحكم في الغضب.

النتيجة:

تظهر نتائج البحث ما يلي:

يحرص النبي ﷺ على تنويع استخدام لغة الجسد في نهج الفصاحة لإيصال معانٍ لا يمكن انتقالها بكلام متطوّق من خلال توظيف انواع لغة الجسد. بناءاً على هذا شغلت الألفاظ و التعابير الدّالة على لغة الجسد حيزاً كبيراً من كتاب نهج الفصاحة و يرجع ذلك إلى اهتمام النبي ﷺ بلغة الجسد اهتماماً قائماً على انواع دلالاتها المختلفة في بيان المفاهيم المتعددة، علماً أنّ نهج الفصاحة جملة و تفصيلاً يؤدّي هذه المهمة. تستخدم لغة جسد ((الرأس)) في نهج الفصاحة بمعاني: النعمة و اللطف، إلقاء ظلال الكفر على العبد الزاني، التعاطف وربطة الأخوة، عدم فصل الصبر عن الإيمان، التواضع، أهمية ومكان الصلاة في الدين. لغة الجسد في ((الوجه)) تستخدم في نهج الفصاحة بمعاني: جمال الوجه والشخصية، رضا الله (وجه الله)، الفكاهة، الصدقة، الابتسام للآخرين، النفاق، وإدارة الغضب. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن استخدام لغة جسد ((الرأس)) و ((الوجه)) كان أكثر من غيره في نهج الفصاحة.

قائمة المصادر و المراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١- نهج الفصاحة، ١٣٩٤: ((مجموعه كلمات قصار حضرت رسول اكرم ﷺ))، ترجمه ابوالقاسم پاينده، تهران، نشر موج نور.

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم ١٤١٤: ((لسان العرب))، بيروت، دارالفكر.

٣- أبو عاصي، جمدان رضوان؛ ٢٠٠٩: ((الأدات المصاحبة للكلام و أثرها في المعني))، مجلة الجامعة الإسلامية، رقم ١١.

٤- پاينده، ابوالقاسم، ١٣٦١: ((نهج الفصاحة (مجموعه كلمات قصار حضرت رسول ﷺ)))، تهران، انتشارات جاويدان.

٥- بني يونس، محمد محمود، ٢٠٠٧: ((سيكولوجيا الواقعية و الإنفعالات))، عمان، دار المسيرة.

٦- الراجحي، محمد عبده، ٢٠٠٤: ((فصول في علم اللغة))، الإسكندرية، دارالمعرفة الجامعية.

٧- الراغب الإصفهاني، ابوالقاسم، ١٤١٢: ((معجم مفردات الفاظ القرآن))، تحقيق: نديم مرعشلي، بيروت، دارالكاتب العربي.

٨- الشيخ الحر العاملي، محمد بن احسن، ١٤١٤: ((وسائل الشيعة))، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

٩- قرشي، على أكبر، ١٣٧١: ((قاموس قرآن))، تهران، دارالكتب الإسلامية.

١٠- الطربولي، محمد عويد، ٢٠١٢: ((جماليات الجسد للذات و الآخر في الشعر الأندلسي))، جامعة الأنبار للغات و الآداب، رقم ٤.

١١- كريم زكي، حسام الدين، ١٩٩٩: ((الاشارات الجسمية (دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل)))، المغرب، دار غريب.

١٢- _____، _____، ٢٠٠١: ((التحليل الدلالي اجراءاته و مناهجه))، المغرب، دارالثقافة.

١٣- محجوب، فاطمة محمد، ٢٠١١: ((دراسات في علم اللغة))، القاهرة، دارالنهضة.

١٤- النراقي، مهدي بن أبي ذر، ١٣٨١: ((جامع السعادات))، ترجمه جلال الدين مجتبوي، تهران: نشر جاويدان.